

بہندی و تلاوت

تذکیر المسلمین

بأهمية الرفق واللين

بمقام
أبي عبد الله حمزة السائي



دار الإمام البخاري
الدوحة - قطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَذْكِيرُ الْمُسْلِمِينَ
بِأَهْمِيَّةِ الرَّفْقِ وَاللِّينِ

حقوق الطبع لكل مسلم

الطبعة الأولى

٢٠١٤ - ١٤٣٥

دار الإمام البخاري

قطر - الدوحة

جوال: ٠٠٩٧٤٥٥٧٢٠٠٥٨

فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨

Email: albukharibooks@gmail.com

تَذْكِيرُ الْمُسْلِمِينَ
بِأَهْمِيَّةِ الرَّفْقِ وَاللِّينِ

بِقَلَمِ

أَبِي عَبْدِ اللَّهِ حَمْرَةَ النَّائِبِي

قال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ». رواه مسلم (٢٥٩٤) من

حديث عائشة رضي الله عنها.

يقول الإمام ابن باز رحمته الله: «هذا العصر عصر الرفق والصبر والحكمة، وليس عصر الشدة .

الناس أكثرهم في جهلٍ، في غفلةٍ، إيثارٍ للدنيا، فلا بد من الصبر، ولا بد من الرفق حتى تصل الدعوة، وحتى يبلغ الناس، وحتى يعلموا، ونسأل الله للجميع الهداية».

مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٨٨/٩)

مَقَالَتَانِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ

﴿ أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد: فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

إنَّ من الخصال الحميدة والأخلاق الكريمة التي كان يتحلَّى بها الأنبياء وَيَتَّصِفَ بها من جاء بعدهم من العلماء، ومن سلك طريقهم من أهل الصلاح الأتقياء هي صفة «الرفق»^(١).

لماذا أيها الأحبة الكرام!؟

لأنَّ هذه الصفة الجليلة يُحِبُّها الباري جل وعلا، ويُحِبُّ من يتصف بها من عباده.

(١) يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: «الرفق بكسر الراء وسكون الفاء بعدها قاف، هو: لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف». فتح الباري (١٠/٤٤٩).
يقول الإمام سفيان الثوري رحمه الله: «الرفق هو: أن تضع الأمور مواضعها، الشدة في موضعها، وَاللِّينَ في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه». فيض القدير (٤/٥٦)

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله:

وهو الرَّفِيقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرَّفْقِ بِل

يُعْطِيهِمْ بِالرَّفْقِ فَوْقَ أَمَانٍ ^(١).

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: «ومن أسمائه (الرفيق) في أفعاله وشرعه، وقد أخذ من قوله رحمه الله في الحديث الصحيح: (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ..)» ^(٢) ^(٣).

يقول الإمام البيهقي رحمه الله: «وقوله رحمه الله: (إن الله رفيق) معناه: ليس بعجول، وإنما يعجل من يخاف الفوت، فأما من كانت الأشياء في قبضته وملكه فليس يعجل فيها، وأما قوله رحمه الله: (يحب الرفق) أي يحب ترك العجلة في الأعمال والأموال» ^(٤).

(١) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (٢/٢٢٩).

(٢) رواه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٥٩٣) واللفظ له من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) الحق الواضح المبين (ص ٦٣).

(٤) الأسماء والصفات (١/٩٥).

أيها الأفاضل، إن مما يجب على كل مسلم التخلق بهذه الصفة الكريمة والتحلي بهذا الخلق الرفيع؛ لما يترتب على ذلك من فضل كبير وخير كثير يعود على الإسلام والمسلمين.

يقول ابن حبان رحمته الله: «الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها، وترك العجلة والخفة فيها، إذ الله تعالى يُحب الرفق في الأمور كلها، ومن مُنِعَ الرفقَ مُنِعَ الخير كما أن مَنْ أُعْطِيَ الرفقَ أُعْطِيَ الخيرَ، ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحب إلا بمقارنة الرفق، ومفارقة العجلة»^(١).

فمن لم يتصف بالرفق -أيها الأحبة والإخوان- وتحلى بضده! من العنف والشدة! في جميع الأحيان! فقد وقع في الخسران! وباء بالحرمان! فعن جرير بن عبد الله رحمته الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ»^(٢).

(١) روضة العقلاء (ص ٢١٥).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٢).

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: «يعني أن الإنسان إذا حُرِمَ الرفق في الأمور فيما يتصرف فيه لنفسه، وفيما يتصرف فيه مع غيره، فإنه يحرم الخير كله أي فيما تصرف فيه، فإذا تصرف الإنسان بالعنف والشدة، فإنه يحرم الخير فيما فعل وهذا شيء مجرَّب ومشاهد أن الإنسان إذا صار يتعامل بالعنف والشدة؛ فإنه يحرم الخير ولا ينال الخير، وإذا كان يتعامل بالرفق والحلم والأناة وسعة الصدر؛ حصل على خير كثير، وعلى هذا فينبغي للإنسان الذي يريد الخير أن يكون دائماً رقيقاً حتى ينال الخير»^(١).

ولأهمية هذا الموضوع أحببتُ في هذا الكُتَيْبِ -أيها الكرام- أن أذكر نفسي وإياكم بأهم المواطن والمواقف التي ينبغي علينا أن نتحلَّى فيها بالرفق واللِّين، سائلاً الباري جل وعلا أن يرزقنا وإياكم محاسن الأخلاق ومن ذلك الرفق والرحمة، ويُبعد عنَّا مساوئها ومن ذلك الغضب والعجلة، فهو سبحانه ولي ذلك وأرحم الراحمين.

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٩٢).

أَهْمُّ الْمَوَاطِنِ وَالْمَوَاقِفِ
الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ نَتَحَلَّى فِيهَا
بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ

الرَّفْقُ وَاللِّينُ

عِنْدَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ﷻ

إن دعوة الناس -أيها الأفاضل- إلى ما ينفعهم وتحذيرهم مما يضرهم في الدنيا والآخرة بالحكمة والموعظة الحسنة هي وظيفة الأنبياء وطريق الأصفياء وسبيل الأتقياء، قال تعالى:

﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

يقول الشيخ السعدي رحمته الله: «أي: ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح ﴿ بِالْحِكْمَةِ ﴾ أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده.

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم

= الرِّفْقُ وَاللِّينُ عِنْدَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ﷻ = [١٣] =

فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين، فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.

إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به.

وإما بذكر ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصيين من العقاب العاجل والآجل^(١).

إن من أهم ما يجب على حامل لواء الدعوة إلى الله تعالى أن يُخلص في عمله للباري سبحانه، وأن يحذر أشد الحذر من الرياء والعُجب وكل ما يفسد العمل! وأن يتزود دائماً بالعلم الشرعي النافع الذي هو عُدَّتُهُ في نشر الخير، وعليه -أيها الكرام- أن

(١) تفسير السعدي (ص ٤٥٢).

يتحلى عند دعوته الناس بالرفق ولين الجانب، وأن يتعد عن التنفير والشدة ما لم تدع الحاجة إلى ذلك! لأن هذا هو سبيل من أراد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: «الرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهذا قيل: ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر»^(١).

وليتذكر الداعي إلى الله ﷻ دائماً عند نصحه وتذكيره لغيره قول نبيه ﷺ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»^(٢).

يقول الحافظ المناوي رحمته الله: «ينبغي للعالم إذا رأى من يخل بواجب أو يفعل محرماً أن يترفق في إرشاده ويتلطف به»^(٣).

وليقرأ سيرة نبيه ﷺ وكيف كان رفيقاً وجليماً عند دعوته

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (ص ٢٨).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٤) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) فيض القدير (٥/ ٤٦١).

ونصحه للناس، فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: (بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجلٌ من القوم فقلت: يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واتكل ^(١) أميأه ^(٢) ما شأنكم تنظرون إلي؟! فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتموني ^(٣) لكني سكت، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله، ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ^(٤)، ولا ضربني، ولا شتمني، قال: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن» ^(٥).

يقول ابن الجوزي رحمته الله: «وهذا يُعلم المؤدبين كيف يؤدبون،

(١) المصيبة والفجعة . كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٤ / ٣٨١).

(٢) فقدان المرأة ولدها . الشرح على صحيح مسلم للنووي (٢٠ / ٥).

(٣) أي: يأمرني بالصمت . كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤ / ٣٨١).

(٤) أي: ما انتهرني . الشرح على صحيح مسلم للنووي (٢٠ / ٥).

(٥) رواه مسلم (٥٣٧).

فإن اللطف بالجاهل قبل التعليم أنفع له من التّعنف، ثم لا وجه للتعنف لمن لا يعلم؛ إنما يُعَنَّف من خالف مع العلم»^(١).

ويقول الإمام النووي رحمته الله: «فيه بيان ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل ورأفته بأتمه وشفقته عليهم، وفيه التخلُّق بخلقه صلى الله عليه وسلم في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللطف به وتقريب الصواب إلى فهمه»^(٢).

ومن صور رفق الداعي إلى الله صلى الله عليه وسلم بمن يدعوهم -أيها الأفاضل- أن يحرص دائماً أن يكون نصحه سرّاً لا في العلن لمُعين من المسلمين؛ لأن ذلك أرجى لقبول المنصوح من الناصح، فعدم إظهار النصح دون مصلحة راجحة هو منهج سلفنا الصالح رحمهم الله.

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٤ / ٣٨١).

(٢) الشرح على صحيح مسلم للنووي (٥ / ٢٠).

يقول الإمام ابن رجب رحمته : «وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرًّا»^(١).

فالله الله يا مَنْ رَفَعَتْ شعار الدعوة إلى الله ﷻ بالإخلاص في عملك لله وحده سبحانه، وبالْحِكْمَةِ و الرفق بالآخرين خاصة في زماننا هذا الذي كثرت فيه الفتن، وازدادت على المسلمين المحن، وتكالب فيه الأعداء على أمة سيد الأنبياء، وانتشر فيه الجهل والبدع والمنكرات! وَقَلَّ فيه العلم والسعي إلى الخيرات.

يقول الإمام ابن باز رحمته : «هذا العصر عصر الرفق والصبر والحكمة، وليس عصر الشدة .

الناس أكثرهم في جهل، في غفلة، إيثار للدنيا، فلا بد من الصبر، ولا بد من الرفق حتى تصل الدعوة، وحتى يبلغ الناس وحتى يعلموا، ونسأل الله للجميع الهداية»^(٢).

(١) جامع العلوم والحكم (ص ٨٢).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز (٨٨/٩).

الرَّفْقُ وَاللِّينُ بِالْوَالِدَيْنِ (١)

إن الله جل وعلا أمر ببرِّ الوالدين (٢) وطاعتهما في غير معصيته، وأوصى بالإحسان إليهما وإن كانا مشركين، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۗ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: «ومع هذه الوصية بالرفقة والرحمة والإحسان إليهما، في مقابلة إحسانهما المتقدم، قال: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت: ٨].»

(١) **يقول الشيخ ابن عثيمين** رحمه الله: «والوالدان هما الأب والأم، والواجب على الإنسان أن يبرهما، وأن يخدمهما بقدر ما يستطيع، وأن يعطيهما إلا ما فيه ضرر أو معصية لله ﷻ، فإنه لا يطيعهما». شرح رياض الصالحين (٦/١٩٠).

(٢) **يقول النووي** رحمه الله: «وأما بر الوالدين فهو الإحسان إليهما، وفعل الجميل معهما، وفعل ما يسرهما». الشرح على صحيح مسلم (٢/٧٦).

أي: وإن حَرَصَا عَلَيْكَ أَنْ تَتَابَعَهُمَا عَلَى دِينِهِمَا إِذَا كَانَ
مُشْرِكِينَ، فَإِيَّاكَ وَإِيَاهُمَا، لَا تَطْعُهُمَا فِي ذَلِكَ، فَإِنْ مَرَجَعَكُم إِلَيَّ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَجْزِيكَ بِإِحْسَانِكَ إِلَيْهِمَا، وَصَبْرِكَ عَلَى دِينِكَ،
وَأَحْشُرُكَ مَعَ الصَّالِحِينَ لَا فِي زَمْرَةِ الْوَالِدَيْنِ، وَإِنْ كُنْتَ أَقْرَبَ
النَّاسِ إِلَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْمَرْءَ إِنَّمَا يَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ مَنْ
أَحَبَّ^(١)، أَي: حَبًّا دِينِيًّا^(٢).

وَحَذَّرَ ﷺ أَشَدَّ الْحَذَرِ مِنَ الْإِسَاءَةِ لَهُمَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كِبَائِرِ
الذُّنُوبِ وَهُوَ مَعْصِيَةٌ لِعَلَّامِ الْغُيُوبِ.

فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ الثَّقَفِيِّ ﷺ قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:
«أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ، ثَلَاثًا؟: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ،
وَشَهَادَةُ الزُّورِ أَوْ قَوْلُ الزُّورِ»، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَكِنًا فَجَلَسَ

(١) يشير إلى حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا
رسول الله، كيف تقول في رجل أحبَّ قومًا، ولم يلحق بهم؟ فقال النبي ﷺ: «المرءُ
مع من أحبَّ». رواه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠) واللفظ له.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٠٦/٣).

فما زال يُكْرَرُهَا حتى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ) (١).

يقول الإمام النووي رحمه الله: «وأجمع العلماء على الأمر ببرِّ الوالدين، وأن عقوقهما حرام من الكبائر» (٢).

حتى ولو كانت الأذية بكلمة يسيرة! قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أَيْفٌ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا أَيْفٌ﴾: وهذا أدنى مراتب الأذى، نبه به على ما سواه، والمعنى لا تؤذهما أدنى أذية.

﴿وَلَا نَهْرُهُمَا﴾ أي: تزجرهما، وتتكلم كلامًا خسيئًا.

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾: بلفظ يُجَبِّئُهُ، وتَأدِّبُ، وتلطفُ

بكلام لين حسن يلذ على قلوبهما، وتطمئن به نفوسهما» (٣).

فيا أيها الأبناء! ويا أيتها البنات عليكم - سدّدكم الله - أن

(١) رواه البخاري (٦٥٢١) ومسلم (٨٧) واللفظ له.

(٢) الشرح على صحيح مسلم (١٠٤/١٦).

(٣) تفسير السعدي (ص ٤٥٦).

تَبَرُّوا وَتَحَسَّنُوا وَتَرَأَفُوا بِمَنْ بَدَلَ فِي تَرْبِيَّتِكُمُ الْأَوْقَاتِ، وَتَحْمَلِ الصَّعَابَ وَالْمَشَقَّاتِ، وَسَهَرُوا وَتَعَبُوا عَلَى تَلْبِيَةِ مَا كَانَ يُلْزِمُكُمْ مِنْ حَاجِيَاتِ.

يقول ابن الجوزي رحمته الله: «بِرَّهُمَا يَكُونُ بَطَاعَتُهُمَا فِيمَا يَأْمُرَانِ بِهِ مَا لَمْ يَكُنْ بِمَحْظُورٍ، وَتَقْدِيمُ أَمْرِهِمَا عَلَى فِعْلِ النَّافِلَةِ، وَالاجْتِنَابُ لِمَا نَهَى عَنْهُ، وَالْإِنْفَاقُ عَلَيْهِمَا، وَالتَّوْحِي لَشَهَوَاتِهِمَا، وَالمَبَالِغَةُ فِي خِدْمَتِهِمَا، وَاسْتِعْمَالُ الْأَدَبِ وَالهَيْبَةِ لَهُمَا، فَلَا يَرْفَعُ الْوَلَدُ صَوْتَهُ، وَلَا يَحْدِقُ إِلَيْهِمَا، وَلَا يَدْعُوهُمَا بِأَسْمِهِمَا، وَيَمْشِي وَرَاءَهُمَا، وَيَصْبِرُ عَلَى مَا يَكْرَهُ مِمَّا يَصْدُرُ مِنْهُمَا»^(١).

وَاعْلَمُوا - وَفَقِّكُمْ اللَّهُ - أَنَّكُمْ مَهْمَا اجْتَهَدْتُمْ فِي بِرِّهِمْ وَخِدْمَتِهِمْ، فَلَمْ وَلَنْ تَقْدَرُوا عَلَى رَدِّ مَا كَانَ مِنْهُمْ مِنْ فَضْلِ وَإِحْسَانِ.

يقول ابن الجوزي رحمته الله: «وَلْيَعْلَمْ الْبَارُّ بِالْوَالِدَيْنِ أَنَّهُ مَهْمَا بَالِغِ

(١) بر الوالدين (ص ٢).

في برهما لم يف بشكرهما»^(١).

فليحرص المسلم أشد الحرص على نفع والديه ما داموا على قيد الحياة، خاصة في أمور دينهم، وذلك ببذل النصح لهما مع الرأفة واللين، وليكثر من الدعاء لهما حتى بعد مماتهما إن كانا مسلمين، وليكن على لسانه دائماً قول الله تعالى: ﴿رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَارِبَّائِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

يقول الشيخ السعدي ﷺ: «أي: ادع لهما بالرحمة أحياء وأمواتاً، جزاء على تربيتهما إياك صغيراً»^(٢).

(١) بر الوالدين (ص ١).

(٢) تفسير السعدي (ص ٤٥٦).

الرَّفْقُ وَاللِّينُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ

إن الزواج -أيها الأحبة الكرام- هو وسيلة لتحقيق المودة والرحمة بين الرجل والمرأة، وهو من الأسباب الجالبة للسعادة والاطمئنان بين الزوجين، يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

يقول الإمام ابن كثير رحمته: «من تمام رحمته -أي سبحانه- بني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة: وهي المحبة، ورحمة: وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبه لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك»^(١).

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٣٠).

فالزواج -أيها الأفاضل- يُعين على إعفاف النفس عن المحرمات، وتطهير المجتمع من المنكرات، فمنافعه جليلة، ومصالحه كثيرة، لا تعمُّ فقط الرجال أو النساء! بل الأمة جمعاء.

يقول الإمام ابن قدامة رحمه الله: «فإنه يشتمل -أي الزواج- على تحصين الدين وإحرازه، وتحصين المرأة وحفظها والقيام بها وإيجاد النسل وتكثير الأمة، وتحقيق مباحة النبي ﷺ، وغير ذلك من المصالح الراجح أحدها على نفل العبادة»^(١).

إن مما ينبغي على الزوجين -أيها الكرام- أن يشكروا الله ﷻ على أن يسَّرَ الجمع بينهما ووقفهما لهذه النعمة العظيمة التي حُرِّمَ منها البعض!

ومن شكر هذه النعمة الجليلة: أن يتعدا عن كل ما قد يكون سبباً في قطع حبل الوصل الذي بينهما وتشتيت شملهما، خاصة المعاصي والذنوب التي هي أصل كل بلاء ومصدر كل شقاء.

(١) المغني (٥/٧).

وعليهما مراعاة ما بينهما من حقوق وواجبات، فيؤدي الزوج ما يجب عليه من نصح وإرشاد لزوجته وأولاده، فيحثهم على ما ينفعهم في الدارين ويحذرهم مما يضرهم، وعليه أن ينفق عليهم بما تيسر عنده، ويحرص على توفير حاجياتهم، وعلى المرأة أن تطيع زوجها وتحرص على تحقيق رغباته في غير معصية الله ﷻ، وتقوم بما يجب عليها نحوه ونحو بيتها.

وإذا أخطأ أحدهما في حق الآخر! فعليه أن ينصحه ويذكره ويبين له خطأه بالحكمة واللين، وليحذرا من الغلظة في القول! ومجاوزة الحد في التأنيب!-خاصة من الزوج!- دون حاجة لذلك!.

وليحرصا على أن يكون الرفق سائداً بينهما عند التعامل لأن في ذلك النجاح والسعادة والفلاح.

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: «يا عائشة، ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلهم على باب

الرَّفْقِ»^(١).

يقول المناوي رحمه الله: «وذلك بأن يرفق بعضهم ببعض والرفق لين الجانب واللطف والأخذ بالأسهل وحسن الصنيع»^(٢).
وعلى الرجل دائما أن يتذكر أن المرأة مهما بلغت منزلتها في الدين والعلم والفقه، فهي تبقى ناقصة عقل ودين لأنها جُبلت على ذلك، ولهذا أوصى بها نبينا ﷺ خيراً، فقال: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكَتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»^(٣).

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «يعني: اقبلوا هذه الوصية التي أوصيكم بها، وذلك أن تفعلوا خيراً مع النساء؛ لأن النساء

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٠٤ / ٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٥٢٣).

(٢) فيض القدير (١ / ٢٦٣).

(٣) رواه البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (١٤٦٨)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قاصرات في العقول، وقاصرات في الدين، وقاصرات في التفكير، وقاصرات في جميع شئونهنَّ، فإنهن خُلِقْنَ من ضِلَعٍ.

وذلك أن آدم -عليه الصلاة والسلام- خلقه الله من غير أب ولا أم، بل خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، ولما أراد الله تعالى أن يبيِّت من هذه الخليقة، خلق منه زوجته، فخلقها من ضلعه الأعوج، فخلقت من الضلع الأعوج، والضلوع الأعوج إن استمتعت به استمتعت به وفيه العوج، وإن ذهبت تقيمه انكسر.

فهذه المرأة أيضاً إن استمتعت بها الإنسان استمتع بها على عوج، فيرضى بما تيسر، وإن أراد أن تستقيم فإنها لن تستقيم، ولن يتمكن من ذلك، فهي وإن استقامت في دينها فلن تستقيم فيما تقتضيه طبيعتها، ولا تكون لزوجها على ما يريد في كل شيء، بل لا بد من مخالفة، ولا بد من تقصير مع القصور الذي فيها.

فهي قاصرة بمقتضى جبلتها وطبيعتها، ومقصرة أيضاً،

فإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرهما طلاقها، يعني معناه أنك إن حاولت أن تستقيم لك على ما تريد فلا يمكن ذلك، وحينئذ تسأم منها وتطلقها، فكسرهما طلاقها^(١).

فالله الله أيها الزوجان في طاعة الرحمن والبعد عن العصيان و
عن اتباع خطوات الشيطان.

واحرصا- وفقكما الله تعالى- على تغليب الرأفة والرحمة
بينكما عند التعامل والنصح والبيان، لأن ذلك من الإحسان وهو
من أهم الأسباب الجالبة للسعادة والاطمئنان بإذن المنان.

(١) شرح رياض الصالحين (٣/١١٦).

الرَّفْقُ وَاللِّينُ بِالْأَبْنَاءِ

إن هبة الأبناء ليست قاصرةً على الأتقياء! ولا خاصة بالأغنياء!، بل هي نعمة يتفضل بها الباري سبحانه لحكمة منه على من يشاء! حتى وإن كان من الفقراء أو الأشقياء!

يقول سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ۗ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا ۗ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩-٥٠].

يقول الشيخ السعدي رحمته الله: «هذه الآية فيها الإخبار عن سعة ملكه تعالى، ونفوذ تصرفه في الملك في الخلق لما يشاء، والتدبير لجميع الأمور، حتى إن تدبيره تعالى، من عمومته، أنه يتناول المخلوقة عن الأسباب التي يباشرها العباد، فإن النكاح من الأسباب لولادة الأولاد، فالله تعالى هو الذي يعطيهم من

الأولاد ما يشاء.

فمن الخلق من يهب له إناثًا، ومنهم من يهب له ذكورًا،
ومنهم من يزوجه، أي: يجمع له ذكورًا وإناثًا، ومنهم من يجعله
عقيمًا لا يولد له.

﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾: بكل شيء، ﴿قَدِيرٌ﴾: على كل شيء،
فيتصرف بعلمه وإتقانه الأشياء، وبقدرته في مخلوقاته»^(١).

فعلى من رزقه الله ﷻ الأبناء أن يحمده سبحانه على هذه النعمة
الكبيرة، لأن بالشكر والإيمان تدوم النعم، وبالجحود والعصيان
تحل النقم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

يقول الشيخ الشنقيطي ﷺ: «وبهذه المناسبة إن على كل
مسلم أفرادًا وجماعات، أن يقابلوا نعم الله بالشكر، وأن

(١) تفسير السعدي (ص ٧٦٢).

يشكروها بالطاعة والعبادة لله، وأن يحذروا كفران النعم»^(١).

ومن صور شكر هذه النعمة -أيها الأحبة الكرام- أن نعتني بتربية أبنائنا على تعاليم الدين، وأن نغرس في قلوبهم حبَّ سنة خير المرسلين، ومحبة أصحابه الميامين ومن سار على هديهم وسلكوا طريقهم من المسلمين، وعلى توقير العلماء الربانيين وطلبة العلم الخيِّرين، وكبار السن وكل الصالحين.

وَلِنَحْتَهُمْ دَائِمًا عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَالتَّزُودِ مِنَ الْخَيْرَاتِ،
وَلِنَحْذَرَهُمْ مِنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ، وَمِشَاهِبَةِ أَعْدَاءِ
الدين من الكفار والمنافقين، ومن سلوك طريق المنحرفين، ومن كل ما يلهيهم عن طاعة رب العالمين من الملهيات والملذات.

وعلينا مراعاة الحكمة عند نصحهم وتوجيههم، ولنجنب التعنيف والشدة معهم ما أمكن! وإذا احتجنا إلى القوة في المعاملة! ورأينا المصلحة في ذلك! فلنتزم بالضوابط الشرعية

(١) أضواء البيان (٩/١١٢).

التي أمرنا بها خير البرية، ومن ذلك أن نجتنب ضرب وجه الصبي، فعن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الضربِ في الوجه»^(١).

يقول الإمام النووي رحمته الله: «وأما الضرب في الوجه فمنهي عنه في كل الحيوان المحترم من الآدمي والحمير والخيل والإبل والبغال والغنم وغيرها، لكنه في الآدمي أشد، لأنه مجمع المحاسن مع أنه لطيف لأنه يظهر فيه أثر الضرب، وربما شأنه وربما آذى بعض الحواس»^(٢).

فيا أيها الأب! ويا أيتها الأم! إن سلوك الشدة فقط في معاملة الأبناء ليس هو الطريق الوحيد في تربيتهم! بل يُخطئ من يظن ذلك! لأن الأصل في التعامل معهم أن يكون بالرحمة والرفق ولين الجانب ما أمكن ذلك، أما اللجوء إلى العنف فلا ينبغي أن يكون إلا عند الضرورة القصوى! والحاجة الماسة!، فربَّ كلمة

(١) رواه مسلم (٢١١٦).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤ / ٩٧).

أثرت على الابن وكانت سبباً في استقامته وتحسين سلوكه! أكثر من تأثير اليد! والعصا! والزجر!.

فالله الله -أيها الأفاضل- في معاملة الأبناء بالرفق قبل الشدة! وبالرحمة قبل العنف!، وبالتغيب قبل الترهيب! خاصة في هذا الزمان! الذي كثر فيه العقوق وظهر فيه العصيان!، والله المستعان.

وينبغي أن نعلم أنه لو ضاع من بين أيدينا الأبناء؛ لوجدوا من يَتَلَقَّوهُمْ من الأعداء! فيدعونهم إلى كل رذيلة، ويصرفونهم عن كل فضيلة!.

فالله أسأل أن يحفظ أولاد المسلمين في كل مكان، وفي كل حين، من شرِّ الأشرار، وكيد الفجار، وأن يجعل الرأفة والرحمة هي السائدة بين الأسر، فهو سبحانه عزيز مقتدر.

الرَّفْقُ وَاللِّينُ بِالْعُمَّالِ وَالْخَدَمِ

إن على المسلم -أيها الأفاضل- أن يُحسن لأخيه المسلم خاصة من كان تحت يديه وسلطته كالخدم و العمال، لأن الله ﷻ سيسأله عنهم.

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَلَا كُتُّكُمْ رَاعٍ وَكُتُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ...»^(١).

يقول الإمام النووي رحمته الله: «قال العلماء: الراعي، هو الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام

(١) رواه البخاري (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته»^(١)

فالمسلم مطالب بالرفق بالخدم والعمال - حتى وإن كانوا غير مسلمين - وذلك بعدم تكليفهم ما لا يطيقون، وتوفير ما يحتاجون إليه من طعام وشراب ولباس، وإعطائهم أجرهم وكامل حقوقهم، وبحسن مخاطبتهم، وببذل النصح لهم.

عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ عَلَيْهِ»^(٢).

يقول الإمام النووي رحمته الله: «يجب على السيد نفقة المملوك وكسوته بالمعروف بحسب البلدان والأشخاص، سواء كان من جنس نفقة السيد ولباسه أو دونه أو فوقه، حتى لو قتر^(٣) السيد على نفسه تفتيراً خارجاً عن عادة أمثاله، إما زهداً وإما شحاً،

(١) الشرح على صحيح مسلم (١٢/٢١٣).

(٢) رواه البخاري (٣٠) ومسلم (١٦٦١) واللفظ له.

(٣) أي: ضيق. معجم مقاييس اللغة (٥/٥٥).

لا يَحِلُّ له التقتير على المملوك وإلزامه وموافقته إلا برضاه، وأجمع العلماء على أنه لا يجوز أن يكلفه من العمل ما لا يطيقه، فإن كان ذلك لزمه إعانته بنفسه، أو بغيره»^(١).

وعليه أن يتعد ما أمكن! عن تعنيفهم و استعمال الشدة معهم! إتباعاً لهدي نبيه ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما ضَرَبَ رسول الله ﷺ شيئاً قطُّ بيده ولا امرأةً ولا خادماً إلا أن يُجَاهِدَ في سَبِيلِ الله»^(٢).

يقول الملا علي قاري رضي الله عنه: «خُصَّ - أي: المرأة والخادم - بالذكر اهتماماً بشأنيهما، ولكثرة وقوع ضرب هذين والاحتياج إليه، وضربهما وإن جاز بشرطه، فالأولى تركه»^(٣).

ومن اغترَّ بقوته! وأعجب بتسلطه على هؤلاء المساكين! فليتذكر قوة رب العالمين عليه، فعن أبي مسعود البديري رضي الله عنه:

(١) الشرح على صحيح مسلم (١١/١٣٣).

(٢) رواه مسلم (٢٣٢٨).

(٣) مرعاة المفاتيح (١٠/٤٨٨).

قال: (كنت أضربُ غلامًا لي بالسَّوْطِ فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ»، فلم أفهم الصَّوْتَ مِنَ الْعَضْبِ، فلما دَنَا مِنِّي إذا هو رسول الله ﷺ فإذا هو يقول: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ»، فَأَلْقَيْتُ السَّوْطَ مِنْ يَدِي، فقال: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ»، فقلت: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا) (١).

يقول الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: «فيه الحث على الرفق بالمملوك، والوعظ والتنبيه على استعمال العفو وكظم الغيظ» (٢).

ويقول المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «(أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هَذَا الْغُلَامِ): أي أقدر عليك بالعقوبة من قدرتك على ضربه، لكنه يحلم إذا غضب وأنت لا تحلم إذا أغضبت» (٣).

وإذا وقعت بعض الأخطاء! أو التجاوزات! من العامل

(١) رواه مسلم (١٦٥٩).

(٢) الشرح على صحيح مسلم (١١/١٣٠).

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/١٧٥).

أو الخادم أحياناً! فعلينا أن نبادرهم بالعفو والصفح عنهم مع نصحتهم وإرشادهم بالرفق واللين، وإن تكرر منهم ذلك أحياناً! فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: «جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال يا رَسُولَ اللَّهِ كَمْ نَعْفُو عَنْ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ فَصَمَتَ، فلما كان في الثالثة قال: «اعفوا عنه في كل يومٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»^(١).

فالسعادة الحقيقية ليست في حب الانتقام للنفس! ولا في التعدي على الضعفاء، وإنما هي في تقديم العفو والصفح! على العجلة والبغضاء.

يقول الإمام ابن القيم رحمته الله: «وفي الصّحاح والعفو والحلم: من الحلاوة والطمأنينة والسكينة وشرف النفس وعزها ورفعتها عن تشفيها بالانتقام: ما ليس شيء منه في المقابلة والانتقام»^(٢).

(١) رواه أبو داود (٥١٦٤)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله.

(٢) مدارج السالكين (٢/٣١٩).

الرَّفْقُ وَاللِّينُ بِالْعُمَّالِ وَالْحَدَمِ = [٣٩] =

فالرفق الرفق - أيها المسلم - بمن ولاك الله ﷻ عليهم، خاصة الضعفاء والمساكين! وإياك من تغليب العنف والشدة والتسلط على الآخرين، وتذكر دائماً أن الجزاء من جنس العمل.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «اللهم من وَلِيَّ من أُمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْتَقُّ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَّ من أُمْرِ أُمَّتِي شَيْئاً فَرَفَّقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»^(١).

يقول الإمام النووي رحمته الله: «هذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم، وقد تظاهرت الأحاديث بهذا المعنى»^(٢).

(١) رواه مسلم (١٨٢٨).

(٢) الشرح على صحيح مسلم (٢١٣/١٢).

الرَّفْقُ وَاللِّينُ بِالْبَهَائِمِ

إن من كمال ديننا الحنيف وسماحة شريعتنا الكاملة أنها أمرتنا بالإحسان والرحمة والرفق حتى بالبهائم.

فالرحمة بالحيوان والرفق به -أيها الأحبة والإخوان- من الإحسان الذي يُدخِل صاحبه الجنان -ياذن المنان-.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بَيْتْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ ^(١) يَأْكُلُ الثَّرَى ^(٢) مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبَيْتْرَ فَمَلَأَ خِفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِيَدِهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ

(١) اللهث: صوت النفس من شدة الإعياء. كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (٤٥٩/٣).

(٢) أي: تراب الأرض. كشف المشكل (٤٥٩/٣).

له فَعَفَّرَ له»، قالوا: يا رسول الله: وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟! فقال: «في كل كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ»^(١).

يقول الإمام النووي رحمته الله: «قوله رحمته الله (في كل كبد رطبة أجر) معناه في الإحسان إلى كل حيوان حيٍّ بسقيه ونحوه أجر، وسمى الحيَّ ذا كبد رطبة لأن الميت يجف جسمه وكبده، ففي هذا الحديث الحث على الإحسان إلى الحيوان المحترم، وهو ما لا يؤمر بقتله، فأما المأمور بقتله فيمتثل أمر الشرع في قتله، والمأمور بقتله كالكافر الحربي والمرتد والكلب العقور، والفواسق الخمس المذكورات في الحديث وما في معناهن، وأما المحترم فيحصل الثواب بسقيه والإحسان إليه أيضا بإطعامه وغيره، سواء كان مملوكًا أو مباحًا، وسواء كان مملوكًا له أو لغيره، والله أعلم»^(٢).

كما أن القسوة على الحيوان -أيها الأفاضل- من العصيان

(١) رواه البخاري (٢٢٣٤) ومسلم (٢٢٤٤) واللفظ له.

(٢) الشرح على صحيح مسلم (٢٤١/١٤).

الذي قد يُدخِل النيران إذا شاء الرحمن، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشٍ^(١) الْأَرْضِ، حَتَّى مَاتَتْ هَزْلًا»^(٢).

يقول الإمام النووي رحمته الله: «وفي الحديث دليل لتحريم قتل الهرة، وتحريم حبسها بغير طعام أو شراب، وأما دخولها النار بسببها فظاهر الحديث أنها كانت مسلمة، وإنما دخلت النار بسبب الهرة، وذكر القاضي^(٣) أنه يجوز أنها كافرة عذبت بكفرها وزيد في عذابها بسبب الهرة واستحقت ذلك لكونها ليست مؤمنة تُغفر صغائرها باجتئاب الكبائر، هذا كلام القاضي، والصواب ما قدمناه أنها كانت مسلمة، وأنها دخلت النار بسببها كما هو ظاهر الحديث، وهذه المعصية ليست صغيرة، بل صارت

(١) أي: دواها وحشراتها وهوامها . كشف المشكل (٢/ ٥٣٣)

(٢) رواه البخاري (٣١٤٠) ومسلم (٢٦١٩) واللفظ له.

(٣) أي الإمام القاضي عياض بن موسى الأندلسي المالكي رحمته الله (ت ٥٤٤ هـ).

بإصرارها كبيرة، وليس في الحديث أنها تخلد في النار، وفيه وجوب نفقة الحيوان على مالكة، والله أعلم»^(١).

فالرفق بالحيوان في شريعتنا -أيها الأحبة الكرام- له صور، منها توفير الأكل والشرب له، وكذلك المأوى الذي يقيه مما يضره إذا كان هذا الحيوان ممن يشرع لنا تربيته وهو تحت أيدينا، وكذلك عدم إجهاده وتحميله فوق طاقته، وعلاجه إن أصابه مرض، والإحسان إليه عند ذبحه إذا كان مما يؤكل لحمه.

فعن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»^(٢).

يقول الإمام ابن دقيق العيد رحمته الله: «وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد كثيرة، ومعنى إحسان القتل أن يجتهد في ذلك

(١) الشرح على صحيح مسلم (١٤/٢٤٠).

(٢) رواه مسلم (١٩٥٥).

ولا يقصد التعذيب، وإحسان الذبح في البهائم أن يرفق بالبهيمة، ولا يصرعها بغتة ولا يجرها من موضع إلى موضع وأن يوجهها إلى القبلة ويسمي ويحمد ويقطع الحلقوم والودجين^(١)، ويتركها إلى أن تبرد، والاعتراف لله تعالى بالمنة والشكر على نعمه فإنه سبحانه سخر لنا ما لو شاء لسلطه علينا وأباح لنا ما لو شاء لحرمه علينا^(٢).

أما الحيوانات الأخرى السائبة التي ليست تحت أيدينا، أو التي لا يشرع لنا تربيتها ولم نأمر بقتلها، فعلينا كذلك أن نرفق بها ما أمكن، ونعينها ما استطعنا، ولنحذر من أذيتها، أو إلحاق الضرر بها أو بذريتها، أو من اتخاذها لهواً نسلى به!

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا»^(٣).

(١) الْوُدْجَانُ: عِرْقَانِ عَظِيمَانِ عَنِ يَمِينِ ثُغْرَةِ النَّحْرِ وَبَسَارِهَا. تَاجُ الْعُرُوسِ لِلزَّبِيدِي (٢٥٦/٦)

(٢) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص ١٨).

(٣) رواه مسلم (١٩٥٧).

يقول القاضي عياض رحمته الله: «(غرضًا) أي: أن ينصب ما فيه روح للرمي بالسهام»^(١).

يقول الإمام النووي رحمته الله: «لأنه تعذيب للحيوان، وإتلاف لنفسه، وتضييع لماليته وتفويت لذكاته إن كان مذكى، ولمنفعته إن لم يكن مذكى»^(٢).

فعلينا -أيها الأحبة الكرام- أن نتبع تعاليم الإسلام الذي حثنا على الرفق بالحيوان، ومدد يد العون له ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا طلبًا للأجر من العزيز العلام، ولسنا -ولله الحمد- في حاجة لا إلى جمعيات غربية! ولا إلى منظمات دولية! تُذكرنا بما يجب علينا تجاه البهائم! فديننا الحنيف والله الحمد قد أمرنا بذلك وحثنا عليه، وبيّن لنا صور الرفق بها، فالخير كل الخير في التمسك به، والعمل بما جاء فيه.

(١) مشارق الأنوار (١/٣٠٣).

(٢) الشرح على صحيح مسلم (١٣/١٠٨).

خاتمة

بعد أن وَقَفْنَا -أيها الأحباب- في هذا الكتيب على أهمية خُلُقِ الرَّفْقِ، وتطرقنا إلى أهم المواطن التي ينبغي علينا أن نتحلَّى فيها بهذا الخلق الكريم، فعلينا أن نسعى في تحقيقه وذلك بسؤال العون والسداد أولاً من العزيز الوهاب، ثم ببذل ما يعيننا على ذلك من أسباب.

ولنجهتد في كل وقت وحين على تقديم الرفق واللين! على العنف والشدة! عند معاملتنا للآخرين، لأن ذلك يُرضي رب العالمين، ويؤدي إلى الفوز في الدارين بإذن أرحم الراحمين.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: «من رفق بعباده رفق به، ومن رحم خلقه رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم

صفح عنه، ومن تتبع عورتهم تتبع عورته، ومن هتكهم هتكه وفضحه، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن شاق شاق الله تعالى به، ومن مكر مكر به، ومن خادع خادعه، ومن عامل خلقه بصفة عامله الله تعالى بتلك الصفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده على حسب ما يكون العبد لخلقه»^(١).

فالله أسأل بأسمائه الحسنی وصفاته العلیا أن يوفقنا وإياكم لكل ما يحبه ويرضاه، ومن ذلك التحلي بصفة الرفق، وأن يجعلنا جميعا من أهل الخير والسرور، وأن يجنبنا الفتن، ويبعدنا عن كل الشرور فهو سبحانه ولي ذلك والعزیز الغفور.

وَصَلِّ اللّٰهُمَّ وَسَلِّمْ عَلٰى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلٰى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

كتبه:

أبو عبد الله حمزة النايلي

(الخريطات / قطر)

(١) الوابل الصيب (ص ٤٩).

الفهارس العامة للكتاب

- ١- فهرس الآيات القرآنية .
- ٢- فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣- فهرس الآثار .
- ٤- فهرس الأبيات الشعرية
- ٥- المصادر المعتمدة.
- ٦- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية السورة الصفحة

آل عمران:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ

وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٠٢] ٦

النساء:

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

وَلِحَدِيثٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَنِسَاءً^٤ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ^٥ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ

اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [١] ٦

إبراهيم:

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لَيْنَ شَكْرَتُمْ

لَا زِيدَنَّاكُمْ وَلَيْنَ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [٧]..... ٣٠

النحل:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ

وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [١٢٥]..... ١٢

الإسراء:

﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا

وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [٢٣]..... ٢٠

﴿رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [٢٤]..... ٢٢

العنكبوت:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ

لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا

إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [٨]..... ١٨

الروم:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [٢١] ٢٣

الأحزاب:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [٧١-٧٠] ٦

الشورى:

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [٥٠-٤٩] ٢٩

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الصحابي	الحديث
٢٦	أبو هريرة	اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ .
٣٨	عبد الله بن عمر	اعْفُوا عنه في كل يومٍ سَبْعِينَ ..
٣٧	أبو مسعود البديري	اعْلَمَ أَبَا مَسْعُودٍ أَنَّ اللَّهَ أَقْدَرُ ...
٣٤	عبد الله بن عمر	أَلَا كَلِّكُمْ رَاعٍ وَكَلِّكُمْ مَسْؤُولَ .
١٩	أبو بكره الثقفي	أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ..
١٤	عائشة	إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ ..
٨	عائشة	إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ ..
٤٣	شداد بن أوس	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ ..
١٥	معاوية بن الحكم	إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ ..
٤٠	أبو هريرة	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ ..

دَخَلَتْ امْرَأَةً النَّارَ أبو هريرة ٤٢

اللهم من ولي من أمماتي ... عائشة ٣٩

لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ عبد الله بن عباس ٤٤

مَا ضَرَبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عائشة ٣٦

المرء مع من أحبَّ عبد الله بن مسعود ١٩

مَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدَيْهِ أبو ذر ٣٥

مَنْ يُحَرِّمِ الرَّفْقَ يُحَرِّمِ الْخَيْرَ .. جرير بن عبد الله ٩

نهى رسول الله ﷺ عن الضرب .. جابر بن عبد الله ٣٢

يا عائشة أرفقي عائشة ٢٥

فهرس الأثار

الصفحة	القائل	الأثر
٧.....	سفيان الثوري	الرفق أن تضع الأمور.....

فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري	القائل	الصفحة
وهو الرفيق يُحِبُّ ابن القيم	٨

المصادر المعتمدة

١. الأسماء والصفات للبيهقي / ط. مكتبة السوادى - السعودية.
٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي / ط. دار الفكر - بيروت.
٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية / ط. دار الكتاب الجديد - بيروت.
٤. بر الوالدين لابن الجوزي / ط. دار الكتاب العربي - بيروت.
٥. تفسير السعدي / ط. مؤسسة الرسالة - بيروت.
٦. تفسير ابن كثير / ط. دار الفكر - بيروت.
٧. التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي / ط. مكتبة الإمام الشافعي - السعودية.

٨. جامع العلوم والحكم لابن رجب / ط. مؤسسة الرسالة
- بيروت.

٩. الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين
للسعدي / ط. دار ابن القيم - السعودية.

١٠. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان / ط. دار الكتب
العلمية - بيروت.

١١. السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني / ط. دار المعارف -
السعودية.

١٢. سنن أبي داود / ط. المكتبة العصرية - بيروت.

١٣. شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد / ط. مكتبة
الفيصلية - سعودية.

١٤. شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين / ط. دار الوطن
- سعودية.

١٥. صحيح البخاري / ط. دار الأفكار - بيروت.

١٦. صحيح مسلم / ط. دار المغني - السعودية.
١٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر / ط. دار المعرفة .
١٨. فيض القدير شرح جامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي / ط. المكتبة التجارية - مصر.
١٩. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم / ط. مكتبة ابن تيمية - مصر.
٢٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي / ط. دار الوطن - السعودية.
٢١. مجموع فتاوى الشيخ ابن باز / إشراف وطباعة: محمد بن سعد الشويعر.
٢٢. مدارج السالكين لابن القيم / ط. دار الكتاب العربي - بيروت.
٢٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري / ط. دار

الفكر - بيروت.

٢٤. مسند الإمام أحمد / ط. الرسالة - بيروت.

٢٥. مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض / ط.

دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٦. المغني لابن قدامة المقدسي / ط. عالم الكتب - بيروت.

٢٧. معجم مقاييس اللغة لابن فارس / ط. دار الجيل - لبنان.

٢٨. منهج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي / ط. دار

المعرفة - بيروت.

٢٩. الوابل الصيب من الكلام الطيب لابن القيم / ط. دار

الكتاب العربي - بيروت.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٦.....	مقدمة المؤلف
	أَهْمُ الْمَوَاطِنُ وَالْمَوَاقِفُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ نَتَحَلَّى فِيهَا
١١.....	بِالرَّفْقِ وَاللِّينِ
١٢.....	الرَّفْقُ وَاللِّينُ عِنْدَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ ﷻ
١٨.....	الرَّفْقُ وَاللِّينُ بِالْوَالِدَيْنِ
٢٣.....	الرَّفْقُ وَاللِّينُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ
٢٩.....	الرَّفْقُ وَاللِّينُ بِالْأَبْنَاءِ
٣٤.....	الرَّفْقُ وَاللِّينُ بِالْعَمَالِ وَالْخَدَمِ

٤٠ الرَّفْقُ وَاللِّينُ بِالْبَهَائِمِ

٤٦ خاتمة

٤٩ الفهارس العامة للكتاب

٥٠ فهرس الآيات القرآنية

٥٣ فهرس الأحاديث النبوية

٥٥ فهرس الآثار

٥٦ فهرس الأبيات الشعرية

٥٧ المصادر المعتمدة

٦١ فهرس الموضوعات

